

صورة نظام الحكم في تركيا من منظور سعيد النورسي

أ.م.د. آزاد سعيد سمو

جامعة دهوك/ كلية العلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد تعرضت تركيا منذ بداية القرن العشرين وإلى يومنا هذا إلى العديد من القلاقل والاضطرابات والتجاذبات السياسية مما أدى إلى حدوث حالة من عدم الاستقرار، وحدة الصراعات داخل البلاد باستمرار، لقد عايش الأستاذ سعيد النورسي الفترة الانتقالية التي مرت بها تركيا حيث عاصر عملية انتقال نظام الحكم في تركيا من السلطنة إلى النظام الجمهوري.

لقد كان للأستاذ النورسي العديد من الطر宦ات والأراء حول شكل نظام الحكم الذي ينبغي أن يكون عليه، لذلك كان يبدي العديد من الملاحظات والانتقادات لكلا النظامين _نظام السلطة وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني رحمة الله والنظام الجمهوري وخاصة في عهد مصطفى كمال أتاتورك .

الأستاذ سعيد النورسي وضمن مشروعه الإصلاحي الشامل كان له نظرته الخاصة حول صورة نظام الحكم، وحاول مراراً أن يقنع أرباب الحكم في تركيا في كلا العهدين بأرائه في هذا الصدد إلا أنه لم يلق آذاناً صاغية، بل تم استبعاده ومحاربته واتهامه بالعديد من التهم الباطلة.

إن آراء الأستاذ النورسي حول نظام الحكم رغم مرور أكثر من قرن عليها إلا أنها ما زالت قابلة للاستفادة منها والاستئثار بها.

لقد عايش النورسي عصراً مليئاً بالأحداث الساخنة، لذا يمكننا أن نسمي عصره بعصر التحولات، التحولات في كافة النواحي، السياسية، والفنية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، وغيرها من المجالات، في بداية توليه مقاليد الحكم في تركيا قرر مصطفى كمال أتاتورك منع كافة الأنشطة الحزبية الأخرى لذلك انفرد حزبه (حزب الشعب الجمهوري) بممارسة العمل السياسي، لذلك لم يكن مستغرباً أن يشكل حزبه الأغلبية الساحقة في المجلس الوطني الكبير (البرلمان).

لقد شكل حزب الشعب الجمهوري سنة ١٩٢٣م، واحتل الحزب بميادنه المست ذات والتي هي:(الجمهورية، القومية، العلمانية، الشعبية، الثورة، سلطة الدولة)، وتأسس الحزب في البداية لغرض الدفاع عن حقوق الولايات الشرقية، وقد فاز الحزب في انتخابات حزيران ١٩٢٣م بر(٢٦٣) مقعداً من مقاعد البرلمان البالغ عددها (٢٨٦) مقعداً، ومن القرارات الأولى التي أصدرها المجلس الوطني الكبير (البرلمان):

- ١ المصادقة على معاهدة لوزان.
- ٢ نقل العاصمة إلى أنقرة.
- ٣ إعلان الجمهورية.
- ٤ اختيار مصطفى كمال أتاتورك لكي يكون أول رئيس للجمهورية التركية.

وفي نيسان ١٩٢٤م أقر المجلس الوطني الكبير _الذي كان حزب الشعب الجمهوري يهيمن عليه_ الدستور الجديد لتركيا والذي نص على أن يكون النظام البرلماني على أساس مجلس واحد وهو المجلس الوطني الكبير الذي أنيط به (صلاحيات تشريع القوانين، والمصادقة على الميزانية، وانتخاب رئيس الدولة من بين أعضائه، ومنح الثقة للحكومة التي تؤلف من بين أعضائه، وعقد معاهدات الصلح، وإعلان الحرب، كما حول الدستور للمجلس الوطني الكبير تعديل الدستور بناء على اقتراح ثلث أعضائه، وموافقة أكثريّة الثلثين، كما نص الدستور على استقلال السلطة القضائية، وعلى الحقوق العامة للمواطنين الأتراك)^(١).

وفي عام ١٩٢٨م أجري تعديل آخر في الدستور التركي، حيث قام النائب عصمت إينونو مع مائة وعشرين نائباً آخر بتقديم اقتراح إلى المجلس الوطني الكبير يدعوه إلى تعديل بعض مواد الدستور مثل المادة (٢) التي كانت تنص على أن دين الدولة الإسلام، والمادة (٢٦) التي ذكرت فيها عبارة (تنفيذ الأحكام الشرعية)، وكذلك دعا الاقتراح المذكور إلى تعديل المادتين (١٦) و (٣٨) لأنهما كانتا تنصان على صيغة القسم أمام المجلس الوطني الكبير حيث كان يتم القسم بالله سبحانه وتعالى فأبدى بالقسم بالشرف^(٢).

وبالنسبة للتعددية الحزبية فإن مصطفى كمال كان يرفضها بشدة، وكان يصر على أنه يجب على جميع الأتراك الانحراف في صفوف حزبه حزب الشعب الجمهوري، ولقد قال أتاتورك يوماً في رده على رؤوف بك^(٣): (احتفظوا بمنظماتكم الشعبية سوف تكونون جميعاً حزب الشعب، وعلى الأتراك المخلصين أن ينضموا إلى صفوف هذا الحزب الذي من حقه وحده أن يحكم البلاد)^(٤).

(١) إبراهيم خليل أحمد وأخرون، تركيا المعاصرة، د.ط، العراق- الموصل، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٢) انظر: أحمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في تركيا الحديثة ١٩١٩- ١٩٣٨م، د.ط، بغداد، منشورات جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٢٤.

(٣) رؤوف بك هو مؤسس الحزب الجمهوري التقديمي في تركيا.

(٤) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص ١٩٨.

ولكن بالرغم من ذلك فقد تشكلت بعض الأحزاب في تركيا مثل الحزب الجمهوري التقدمي بزعامة رؤوف بك، والحزب الجمهوري الحر بزعامة فتحي أوكياي، إلا أن مصطفى كمال أتاتورك لم يفسح المجال لكلا الحزبين كي يقولوا بدورهما في العمل الحزبي، وكان يضع العراقي في طريقهما وخاصة الحزب الجمهوري التقدمي الذي اتهمه أتاتورك بمساندة الحركة الكردية التي قام بها الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥م^(١).

إن التأكيد على نظام الحزب الواحد كان واحداً من مرتزقات الدولة التركية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك، وقد أكد حزب الشعب الجمهوري على ذلك مارا كما حدث في مؤتمر الحزب لعام ١٩٣٥م، لذلك فلا غرابة أن نرى أن أكثر الموظفين في الجمهورية التركية كانوا أعضاء في حزب الشعب الجمهوري، فالحزب كان هو الحكومة، والحكومة هي الحزب، كما هو متبع لدى أكثر الأحزاب الدكتاتورية، وقد جاء في أحد أحاديث أتاتورك:

(إن الأمة قد احترفت ونالها أكبر الأضرار من تعدد الأحزاب، وفي البلاد الأخرى تتعدد الأحزاب حسب اختلاف المذاهب الاقتصادية التي هي مظاهر تعدد الطبقات وتفاوتها في مختلف حزب لصيانت حقوق طبقة أخرى ما هو [كذا]^(٢)) طبيعى، أما عندنا فقد تعددت الأحزاب ونالت أمتنا ضررها العظيم في حين أن أمتنا ليست متفاوتة أو متعددة الطبقات، ونحن إذ نقول (حزب الشعب) نعني حزب الأمة كلها وليس حزب طبقة منها)^(٣).

وفي السنوات الأخيرة من حكم أتاتورك حاول الكثير من الجماعات والتيارات تشكيل أحزاب سياسية، والعمل ضمن المعارضة السياسية تجاه حزب أتاتورك، إلا أن هذا الأخير وقف سداً منيعاً في وجههم، ولم يعط لهم أي مجال لتحقيق ما كانوا ينوون القيام به.

وعلى الصعيد الخارجي حاولت تركيا تقوية مركزها بين الدول، فأقامت علاقات دبلوماسية مع العديد من الدول الأوروبية، والأمريكية، والآسيوية، وفي سنة ١٩٣٢م أصبحت تركيا عضواً في عصبة الأمم، وفي سنة ١٩٣٤م أصبحت عضواً في حلف البلقان^(٤)، وفي سنة ١٩٣٨م مات رئيس جمهورية تركيا مصطفى كمال أتاتورك فاختار المجلس الوطني الكبير عصمت إينونو رئيساً للجمهورية.

المبحث الأول سيرة سعيد النورسي

اسميه ونسبه وأسرته:

اسم سعيد وكان يلقب بـ (بديع الزمان) وكذلك بـ (ملا سعيد الكردي) ولد من أبوين كردبين صالحين، واسم والده ميرزا بن علي^(٥)، وكان مثلاً في الورع والتقوى إلى درجة أنه كان أحياناً يبالغ في الورع إذ يحكي أنه عندما كان يعود بمشيته في المساء من المراعي إلى القرية كان يشد أفواهها لئلا تأكل من بساتين ومزارع الآخرين، وحكي عنه أيضاً أنه لم يطعم أولاده حراماً قط، وكانت مهمته الفلاحية، وتربيبة الأغنام والماشية^(٦)، أما والدته فكانت تسمى نوري (nurē) بالإملالة^(٧)، ويصل نسبة من جهة الأب إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما^(٨)، وهي أيضاً كانت على جانب كبير من الورع والتقوى، وقد سُئلت ذات يوم عن سبب الذكاء الحاد عند أولادها؟ فأجبت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعدورة شرعاً، ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء^(٩).

كانت أسرة سعيد النورسي مكونة من تسعه أفراد: الأبوان، وأربع أولاد، وثلاث بنات، وتسلسلهم حسب الولادة كالتالي: درية، خاتم، عبد الله، سعيد، محمد، عبد المجيد، مرجان، توفي والد سعيد النورسي في العشرينيات من القرن العشرين، أما أخواته فقد توفين مع والدته عندما كان النورسي صغيراً، يقول سعيد النورسي: "ولم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث منذ الخامسة عشرة من عمري، حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ فبُت محروماً من كثير من الطاف الرحمة والاحترام التي تنشر في الجلسات الأخوية الطيبة اللذيدة في الدنيا"^(١٠)، هذا وقد

(١) قام الشيخ سعيد بيران بحركته في شباط ١٩٢٥م، وقد استطاعت الحركة الكردية بقيادة الشيخ سعيد بيران السيطرة على مدن كبرى مثل ديار بكر إلا أن الحكومة التركية ردت عليها بكل قسوة، وأعلنت الأحكام العرفية في المنطقة لعدة شهور، وأسرت الشيخ سعيد بيران مع عدد من الثوار الكرد وأحيلوا جميعاً على محاكم عسكرية ونفذت حكم الإعدام بتهمة العمل على إقامة كردستان مستقلة.

(٢) ولعل الصواب وهو.

(٣) محمد عزت دروزة، تركيا الفتاة، بيروت، مطبعة الكشاف، ١٩٤٦م، ص ١٦٣.

(٤) أنظر: إبراهيم خليل أحمد وأخرون، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٥) بكير، حسن عبد الرحمن، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، ص ٥١.

(٦) د. فرج محمد الوصيف، بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته، ط ١، القاهرة، دار نور الإسلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٥٨.

(٧) لقد ذكر أغلب الكتاب إن لم نقل كلهم أن اسم والدة سعيد النورسي هو (نوريه)، بينما الاسم الصحيح لوالدته هو نوري (nurē) بالإملالة وذلك حسب الكتابات الكردية التي اطلعت عليها في تركيا، و(نوري) بالإملالة اسم علم مؤنث شائع بين الكرد في جميع المناطق.

(٨) حبيب محمد سعيد، (جمكيك له زيني ماموسنا سعيدي نورسي) أي: (نبذة عن حياة سعيد النورسي) مؤلف باللغة الكردية، ط ١، د.م، د.ن، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٨.

(٩) أنظر: إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره، (مؤلف باللغة العربية) ط ٢، إسطنبول، دار سوزلر للنشر، ١٩٨٧م، ص ١٩.

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ١، إسطنبول، دار سوزلر للنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٦.

توفيت أخته خاتم سنة ١٩٤٥ في مكة المكرمة، ويقول النورسي عن وفاتها "تالك التي حبت وطافت البيت وهي تعاني سكرات الموت، وسلمت روحها في الطواف وهي المرحومة اختي العالمة خاتم"^(١).

أما إخوته فقد توفي عبد الله عام ١٩١٤م، وهو والد عبد الرحمن تلميذ سعيد النورسي وابنه المعنوي حسب تعبير النورسي، وتوفي محمد سنة ١٩٥١م، وتوفي عبد المجيد سنة ١٩٦٧م^(٢) أي بعد وفاة سعيد النورسي بسبعة أعوام، والجدير بالذكر أنَّ أخيه عبد المجيد هو الذي قام بترجمة الكثير من رسائل النور إلى اللغة العربية إلا أنها نشرت في وقتها ضمن نطاق ضيق، كما ترجم رسائل النور التي كتبت باللغة العربية إلى اللغة التركية مثل: (إشارات الإعجاز)، و (المثنوي العربي)، وكان أخيه عبد المجيد هذا مدرساً للغة العربية، ثم مقيناً، ثم مدرساً للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونيا^(٣).

مولده ونشأته:

ولد سعيد النورسي في ربيع سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦م^(٤) وذلك حسب ما أملأه هو بنفسه عندما عين عضواً في دار الحكمة الإسلامية باستانبول^(٥)، أما مكان ولادته فهو قرية نورس (nurs) بضم النون^(٦)، وقرية نورس تابعة لقضاء هيزان^(٧) في ولاية بدليس^(٨).

ولم يكن سعيد النورسي في صغره مثل سائر الصغار، فالصغراء كما هو معلوم يقضون سائر أوقاتهم في اللعب، والمرح، والأشياء التافهة، أما سعيد النورسي فلم يكن كذلك، بل كان دائم التفكير في الأمور التي يراها من حوله، وكان كثير الاستفسار من والديه عن طبيعة الأشياء وما هيّتها، وبال مقابل كان والداته يجيبانه عن جميع تساؤلاته حسب معلوماتهما القليلة برحابة صدر، وكان النورسي كثيراً ما يرتاد مجالس العلم والعلماء، ويستمع بشغف، وإنصات، وأدب إلى ما يدور بينهم من مناقشات علمية فأدار ذلك مع مرور الأيام إلى أن تتحقق نفسه لطلب العلم إلى درجة كبيرة كما يقول هو عن نفسه: "لقد حدثت خيالي في عهد صبائي: أي الأمرين تفضل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة؟ فرأيته يرحب في الثانية ويضجر من الأولى"^(٩).

لقد كان سعيد النورسي متفائلاً منذ طفولته بشأن مستقبله العلمي، وريادته الإصلاحية، يقول هو في ذلك: "كنت أحمل حالة روحية تتسم بالفرح والاعتزاز يوم كنت في العاشرة من عمري فكنت أتقاذ طور بطل عظيم، ورائد كبير، وصاحب عمل عظيم، أما قريتنا (نورس) فإن أهلها وطلابي القديمي يعرفون أن أهاليها كانوا يحبون المدح والثناء عليهم كثيراً والآن عرفت السر باختصار حقيقي: إن أولئك النورسيين يتباهون لأن قريتهم (نورس) ستكتب فخراً عظيماً بنور رسائل النور، حتى إن الذين لم يسمعوا باسم الولاية، والناحية سيعرفون تلك القرية باهتمام بالغ، فهو لاء النورسيون يظهرون شكرانهم بحس مسبق لتأكيل النعمة الإلهية".

نعم إنه عندما كان جميع كردستان يتخذ وضع المفتر المختال بزيارة الطلاب، والأئمة، والعلماء^(١٠) المتخرجين بهمة وجهود الشيخ عبد الرحمن تاخى^(١١) الشهير الملقب بـ (سیدا)^(١٢) في ناحيتها (اسبارت) التابعة لقضاء خيزان كانت

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، إسطنبول، دار سوزلر للنشر، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ص ٣٢٢.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٦، حاشية المترجم.

(٣) أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٣٢٢، حاشية المترجم.

(٤) هناك عدة روايات أخرى في تحديد السنة التي ولد فيها سعيد النورسي، فمن قال أنه ولد سنة ١٩٧٣م، ومن قال أنه ولد سنة ١٨٧٧م.

(٥) أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٥.

(٦) الكثير من الدارسين يتلقظون اسم قرية سعيد النورسي (نورس) بفتح النون وهذا خطأ (النورس) هو اسم لطائر معروف، أما (نورس) بضم النون فهو اسم قرية سعيد النورسي.

(٧) مركز قضاء تابع لولاية بدليس التي تقع في شرق تركيا.

(٨) لا يزال مصطلح (الولاية) متداولاً في تركيا وهي وحدة إدارية تقابلها المحافظة في الكثير من الدول.

(٩) مدينة تقع في شرق تركيا، وقد ذُكرت في سعيد النورسي إليها سنة ١٨٩٥م.

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٢٧٧.

(١١) تشتهر بلاد الكرد بكثرة المدارس الشرعية في المساجد، فقلما تجد مسجداً حتى في القرى النائية إلا وفيها شيخ، وحوله العشرات من طلبة العلم الذين تركوا أهليهم وذويهم وجاءوا لكي يلتحقوا بركتب طلبة العلم حيث يتلقون العلوم الشرعية من فقه، وحديث، وتفسیر، وعلوم الآلة كالنحو، والصرف، والبلاغة، وغير ذلك إلى أن ينالوا الإجازة العلمية حيث يرجع كل واحد منهم إلى قريته أو إلى أية قرية أخرى لكي يقوم هو الآخر بدوره في إرشاد الناس وتعليمهم أمور دينهم من ضوء، وطهارة، وصلادة، ومعرفة الحال والحرام، وغير ذلك من الأمور المهمة في الإسلام.

(١٢) عبد الرحمن بن محمود الناغي (١٤٤٧-١٤٧٠) عبد الرحمن بن زين الدين بن يوسف الماويي الناغي الشيرازي الشعاعي النقشبendi المعروف بـ (سیدا)... ولد سنة ١٤٤٧ (١٨٣١م) وقضى شطراً من طفولته في كتف والدته التي كانت هي الأخرى سليلة أسرة دينية فوجهتة منذ البداية نحو العلم والزهد لكنها ماتت وهو لا يزال في العاشرة من عمره فاعتني به والده الملا محمود وأنفرد به فقرأ عليه بعض الكتب والعلوم الشرعية واللغوية... ودرس على الملا عبد الصمد الإيروني، والشيخ ضياء الدين الأرواسي، والملا عبد القهار النمري، وعبد الرحمن الهيزاني... خلف شيخه صبغة الله الأرواسي الذي مات سنة ١٢٨٧ ويرزك واحد من مشاهير شيوخ النقشبندية في شمال كردستان... مات ضحي يوم الخميس (٢٠) من ربيع الأول من سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦/١٢/٤) ودفن في قرية نورشين. نقلًا عن: حمدي عبد المجيد السلفي وتحسين إبراهيم الدوسي، عقد الجمان في تراث العلماء والأباء الكرد المنسوبيين إلى مدن وقرى كردستان، ج ٣، ط ١، الشارقة، مكتبة الأصالة والتراجم، ١٤٢٩هـ، ص ٢٠٠٨، ١١٨٩.

(١٣) (سیدا) كلمة كردية وتعني الأستاذ، أو المعلم.

أشعر بينهم أيضاً لأنك العلماء سيفتحون الأرض كلها، فكنت أستمع وأنا لم أجذب العاهرة من عمرى مناقب العلماء القدامى المشهورين ويرد إلى قلبي أن هؤلاء الطلاب، العلماء سيفتحون أفقاً عظيمة في العلم والدين^(١).

تلقـيـهـ الـعـلـمـ

بدأ سعيد النورسي حياته الدراسية بتعلم القراءة والكتابة في مسجد قريته، ثم بدأ بتعلم القرآن الكريم حسب ما هو متبع لدى طلبة العلم وكان ذلك سنة ١٨٨٥م، وبعدها تجول في عدد من القرى والمدن في كردستان تركيا طلباً للعلم مثل: قرية نورشين^(٢)، وكواش(kewash)^(٣)، وولاية بدليس، إلا أن تحصيله للعلم بدأ بصورة جادة في قضاء بايزيد التابع لولاية أغري^(٤).

وفي سنة ١٨٩٤م انتقل إلى مدينة وان، وهناك بدأ يسلك مسلكاً آخر في حياته العلمية، حيث بدأ بقراءة كتب العلم الحديث مثل الجغرافيا، والفلك، والرياضيات، والكميات، والفيزياء، والفلسفة، والجيولوجيا، إلى غير ذلك من العلوم^(٥). وفي سنة ١٨٩٦م سعى من أجل تأسيس جامعة في كردستان تركيا فسافر إلى استانبول لتقديم مشروعه إلى سلطات الدولة، وطالب بأن تكون الدراسة في الجامعة المذكورة باللغة الكردية والعربية والتركية، أما بالنسبة للأستاذة فقد اشترط أن يكونوا من الكرد، أما الأستاذة من غير الكرد فقد اشترط أن يكونوا من يجيدون التحدث باللغة الكردية، وأن يكون مركز الجامعة في (بتليس)، ويكون لها فرعان أحدهما في مدينة (وان) والآخر في (ديار بكر)^(٦)، كما دعا إلى إنشاء ثلاث مدارس أخرى في أماكن متعددة لأطفال الكرد، وتكون الدراسة فيها باللغة الكردية^(٧)، لقد بذل سعيد النورسي كل ما في وسعه في سبيل ادخال دراسة العلوم الحديثة إلى المدارس الكردية التي كانت تدرس العلوم الإسلامية فحسب، لأنه كان يدرك مدى أهمية تلك العلوم الحديثة لتطوير الشعب الكردي الذي كان يعيش في ظلمات الجهل والتخلف،

يتحدث سعيد النورسي عن معاناته التي لقيها في ذلك السبيل فيقول:

"كنت أرى أن وضع الشعب الكردي بكردستان في أسوأ ما يكون، وكانت أؤمن بأن حضارتنا نحن الكرد إنما تأتي من طريق العلوم الحديثة، وكذلك كنت على يقين بأن هذه العلوم يجب أن تدخل كردستان عن طريق المدارس وبأيدي العلماء والحكماء حتى ينشأ في الشعب الكردي أنس وآف[كذا]^(٨) لهذه العلوم، وذلك لأن زمام الشعب الكردي لا زال بأيدي العلماء"^(٩).

إن السعي من أجل تأسيس جامعة في كردستان تركيا وتطوير التعليم فيها في ذلك الزمان كان عملاً فريداً، وتفكيره متقدماً جداً حيث كانت الأممية منتشرة في كردستان بشكل مأساوي، لقد مكث سعيد النورسي سنة ونصف السنة في استانبول إلا أنه لم يستطع تحقيق ما كان يريد فرجع مرة أخرى إلى مدينة (وان) وبقي فيها تسع سنين أخرى أي إلى سنة ١٩٠٧م، وقد أمضى تلك السنوات في التدريس والإرشاد والوعظ حيث كان يتوجه بين المدن والقرى الكردية في كردستان تركيا، كما كان يبذل جهوداً كبيرة في الإصلاح بين العشائر الكردية وبذلك أصبح سعيد النورسي رمزاً بارزاً في المنطقة، كما أنه اكتسب شهرة كبيرة فيها من الناحية العلمية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية.

بعد أن قضى سنوات عدة من عمره في كردستان ساعياً في سبيل إصلاح مراقب الحياة العامة فيها، وبعدما وثق بقدراته الإصلاحية قرر سعيد النورسي الانتقال إلى مدينة استانبول حيث مركز القرار في الدولة، وتواجد رجالات الفكر والسياسة هناك، لذا سافر في سنة ١٩٠٧م إلى استانبول وكانت هذه هي المرة الثانية التي يزور فيها تلك المدينة.

لقد بذل سعيد النورسي في فترة انتقاله إلى استانبول جهوداً جباراً في سبيل الإصلاح الذي نذر نفسه لتحقيقها، لذا حاول اللقاء بالسلطان عبد الحميد الثاني مراراً إلا أنه منع من ذلك، فقام برفع قائمة من المطالب المتعلقة بالإصلاح في الدولة العثمانية عموماً، وكردستان خصوصاً، وقد تضمنت تلك المطالب: الاهتمام بالولايات الكردية التي كانت محرومة من الخدمات من كافة النواحي: التعليمية، والصحية، والإدارية وغير ذلك، وتأسيس جامعة في كردستان تركيا باسم جامعة الزهراء، وتكون لها ثلاثة فروع: إحداها في مدينة وان، والثانية في مدينة بدليس، والثالثة في ديار بكر، كما نصح سعيد النورسي السلطان عبد الحميد الثاني بضرورة الابتعاد عن الاستبداد، وإصلاح نظام الحكم، وإصلاح نظام الحكم، والتثبت من صحة التقارير التي ترفع إلى السلطان^(١٠).

وفي استانبول التقى سعيد النورسي بالعديد من الشخصيات العلمية، والثقافية، والسياسية، وكتب في العديد من الصحف والمجلات التي كانت تنشر في استانبول مثل مجلة (كرد تعاون وترقي)^(١١)،

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤١.

(٢) قرية قريبة من قرية "نورس" مسقط رأس سعيد النورسي وقد ذهب إليها سعيد النورسي في صغره لتعلم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم.

(٣) هي أيضاً قرية قريبة من قرية "نورس" وقد ذهب إليها سعيد النورسي في صغره طلباً للعلم وبقي فيها شهراً.

(٤) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره، ط ٣، إخلاص نور نشيرات، آفر، ٢٠٠٠م، ص ٢١.

(٥) ينظر: سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري دراسة وتقديم - أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص ٤١٦.

(٦) بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، الاتحاد للنشر، استانبول، ١٩٩٩م، ص ٦٥٩.

(٧) سليمان جفك، (سنة ١٩٩٢م)، حياة ونضال بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة نويهار (الربيع الجديد)، استانبول، العدد السادس ، ص ٢١.

(٨) ولعل الصواب أله.

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العرقى وسعيد الكردى، ترجمة شكري أصلان الكردستاني، غير مطبوع، ص ٢٦.

(١٠) كثيراً ما كانت ترفع التقارير إلى السلطان وكانت تحتوى إما على حقوق مشوهة، أو أخبار مغلوطة في بعض الأحيان.

(١١) صحيفة كانت تصدرها جمعية التعاون والترقي الكردي (كرد تعاون وترقي جمعيتي) وكان رئيس تحريرها يدعى أحمد جميل باشا، الصحيفة بأنها صحيفة سياسية، دينية، اجتماعية، أسبوعية، وكان سعيد النورسي من أبرز كتابها، ومن مقالاته المشهورة فيها: ١- مقالة بعنوان: (أيها

ومجلة: (فولكان)^(١) وغيرهما، وفي استانبول اصطدم بأفكار جماعة الاتحاد والترقي التي كان مصطفى كمال أتاتورك^(٢) ينتزعها، وذاق جراء موافقه الكثير من المتعصب والألام، والحكم، والسجن مرات عدّة، وفرض الإقامة الجبرية عليه فترات طويلة.

آثاره العلمية:

لقد خلف سعيد النورسي وراءه تراثاً علمياً وفكرياً هائلاً يقدر بآلاف الصفحات، وقد أودع سعيد النورسي في كتاباته تلك جميع أفكاره، وأرائه حول الإسلام، والشيء الجيد الذي فعله سعيد النورسي حسب اعتقاده هو قيامه بتصنيف كتاباته حسب أربع مجموعات أساسية وهي: سوزلر (الكلمات)، و مكتوبات (المكتوبات)، و لمعر (اللمعات)، و شاعار (الشعارات)، هذا وللنورسي كتابات أخرى غير هذه المجموعات الأربع الرئيسية وهي:

١-محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة.
٢-نزل إيجاز وهي عبارة عن حاشية سعيد النورسي على كتاب في المنطق باسم: (السلم المنورق) لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخضري^(٣).

٣-تعليقات على برهان الكلنبوبي وهي أيضاً عبارة عن تعليقات سعيد النورسي على كتاب في المنطق باسم البرهان لإسماعيل بن مصطفى الكلنبوبي^(٤).

٤-السانحات وتتضمن تفسيراً لبعض الآيات القرآنية مع بعض قضايا العقيدة.

٥-المناظرات وهي مجموعة من الدروس ألقاها سعيد النورسي في أوقات متفرقة على العشائر الكردية في كردستان تركيا بغية توعيتها وتعليمها أمور دينها.

٦-المحكمة العسكرية العرفية وهي عبارة عن دفاع سعيد النورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحابيين.

٧-الخطبة الشامية وهي الخطبة التي ألقاها سعيد النورسي في الجامع الأموي بدمشق سنة ١٩١١م.

٨-الخطوات السبعة لمقاومة الإنكليز وقد ألّفه سعيد النورسي عندما احتل الإنكليز مدينة استانبول.

٩- وكان للنورسي بعض المقالات التي كتبها باللغة الكردية ونشرها في صحيفة (كرد تعاون وترقي) مثل مقالته الشهيرة بعنوان: (ئەی گەنی کوردان).

أما نشر الرسائل فقد كانت تتم بصورة مذهلة، فقد انتشرت الرسائل في البداية في "بارلا" ومنها انتشرت في كافة أنحاء تركيا حيث كان الناس يقومون بتبادلها فيما بينهم، ومن الجدير بالذكر أن رسائل النور لم تقتصر على الانتشار بين طبقة واحدة أو طبقتين من الناس بل شملت كافة الطبقات والشراائح سواء كانوا من موظفي الدولة، أو العسكريين، أو طلبة المدارس، أو غيرهم من شرائح المجتمع.

وهكذا بقيت رسائل النور تكتب وتنشر بهذه الطريقة أكثر من عشرين عاماً إلى أن سمحت الدولة بطبعتها في المطبع وذلك في سنة ١٩٥٦م.

(الكرد) وقد كتبها باللغة الكردية ونشرت في العدد الأول من الصحيفة، وكان المقال يحتوي على مجموعة من النصائح للشعب الكردي وحثّهم على التمسك بدينهم. ٢- مقالة أخرى بعنوان: دور الدين في حياة الكرد.

(١) جريدة فولكان (volkan) وتعني البركان، كانت الجريدة لسان حال جمعية الاتحاد المحمدى، وكان السيد درويش وحدت رئيس تحريرها، وقد عرف عنه شدة عداه لجمعية الاتحاد والترقي حيث كان يكتب مقالات عنيفة في الجريدة المذكورة ضدهم وقد نبه سعيد النورسي على خطورة ذلك على حياته مراراً إلا أنه لم يعمل بنصيحته مما أدى إلى اعتقاله ومن ثم إعدامه على يد الاتحابيين.

(٢) ولد مصطفى كمال باشا عام ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م في مدينة سلانزيك وكان من عائلة يقال أنها تركية، وهناك شكوك كثيرة حول نسبة، فالبعض ينسبونه إلى أحد الموظفين الحكوميين كان يدعى علي رضا، بينما يقول آخرون إنه أي مصطفى كمال من يهود الدولة، أما والدته فهي زبيدة هانم، بعدما أكمّل مصطفى باشا دراسته الابتدائية والثانوية دخل المدرسة العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط في الجيش العثماني، وبعدها بفترة التحق بالأكاديمية الحربية في مدينة استانبول، ثم دخل كلية الأركان وتخرج منها برتبة نقيب، تزوج مصطفى كمال باشا من طيفية هاتم ابنة أحد كبار الأغنياء في مدينة أزمير وقد أمر أن تجري مراسم زواجه على الطريقة الغربية، لم يتم زواجه كثيراً حيث قام مصطفى كمال بتطليق زوجته التي لم تعد تحمل تصرفاته الجنونية وأخلاقه الدنيئة، وميله الإجرامية.

قام مصطفى كمال الذي لقب فيما بعد بـ (أتاتورك) أي أبو الانترانـ بقيادة الحركة الوطنية ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي، واستمر في نضاله السياسي إلى أن أصبح أول رئيس للجمهورية التركية عام ١٩٢٣هـ - ١٩٤٢م، وقد توفي سنة ١٩٣٧هـ - ١٩٣٨م.

(٣) عبد الرحمن الأخضري (٩١٨هـ - ١٥٨٥م) عبد الرحمن بن محمد بن عامر الأخضري، النطويسي، المغربي، الملكي (الصدر) حكم، منطقي، مشارك في انواع من العلوم، من آثاره: السلم في المنطق وشرحه، الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الدرة البيضاء في احسن الفنون والأشياء، مختصر في العبادات على مذهب مالك، وشرح السراج في الفلك، نقاً عن: كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثلث - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج٥، ص ١٨٧.

(٤) الكلنبوبي (١٢٠٥هـ - ١٧٩١م) إسماعيل بن مصطفى بن محمود، أبو الفتح الكلنبوبي الرومي، ويعرف بشيخ زاده: قاض حنفي عثماني. اشتهر بالياضيات والمنطق. نسبته إلى بلدة (كلنبا) من ولاية (أيدين) ووفاته في تساليا (من يني شهر) وكان قاضياً فيها. له تصانيف، منها (دقائق البيان في قيلة البلدان - ط) خمسة مجلدات، في فقه الحنفية، و (البرهان - ط) رسالة في المنطق، و (HASHIYA - ط) على البرهان، ورسالة في (الربع الموجب - خ) فلك (في دار الكتب ٤٠٠٨) و (رسالة في القياس - ط) و (HASHIYA على شرح الدواني للعقائد العضدية - ط) ورسالة في (آداب البحث والمناظرة - خ) في الظاهرية (الرقم العام ٦١١٣) وكتاب سمي (كلنبو على التهذيب - ط) في المنطق، و (المراسد

لتبيان الحال في المبادي والمقاصد - خ). نقاً عن: الزركلي، الأعلام، ج ١ ص ٣٢٧.

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن رسائل النور كانت متفرقة حتى زمن قريب، إلا أن السيد (إحسان قاسم الصالحي) حفظه الله قام ببذل جهود مباركة حيث جمع تراث سعيد النورسي بأكمله تقريباً وترجمه إلى اللغة العربية، كما قام بتحقيقها تحقيقاً علمياً، وضبطها ضبطاً تاماً، ووضع لها فهارس تفصيلية، وأخرجها لقراء العربية في أجمل حلأة، وقد طبعت في دار سورلر للنشر في كل من استانبول والقاهرة باسم كليات رسائل النور، وهي في تسع مجلدات بعضها كبيرة، وبعضها الآخر متوسطة الحجم وهي كالتالي:

- ١- الكلمات: وتقع في (٩٢٠) صفحة، وتتضمن (٣٣) كلمة.
 - ٢- المكتوبات: وتقع في (٦٧٢) صفحة، وتتضمن (٣٣) مكتوباً.
 - ٣- اللمعات: وتقع في (٤٦) صفحة، وتتضمن (٣٣) لمعة.
 - ٤- الشعاعات: وتقع في (٧٥٢) صفحة، وتتضمن (١٥) شعاعاً.
 - ٥- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: وتقع في (٣٢) صفحة، والكتاب نفسه هو المكتوب الثالثون في كتاب المكتوبات.
 - ٦- المثنوي العربي النوري: ويقع في (٥٣٤) صفحة، ويتضمن (١٢) رسالة كتبها سعيد النورسي باللغة العربية، والكتاب نفسه هو اللمعة الثالثة والثلاثون من كتاب اللمعات.
 - ٧- الملحق: وتقع في (٤٦١) صفحة، وتتضمن: ١- ملحق بارلا ٢- ملحق قسطموني (١) ٣- ملحق أمير داغ (٢).
 - ٨- صيق الإسلام: ويقع في (٥٩٧) صفحة، ويتضمن الكتب الثمانية التي ذكرتها قبل قليل وهي: ١- محاكمات عقلية ٢- قزل إيجاز ٣- تعليقات ٤- الساحرات ٥- المناظرات ٦- المحكمة العسكرية العرقية ٧- الخطبة الشامية ٨- الخطوات الست.
 - ٩- سيرة ذاتية: وتقع في (٥٨٤) صفحة، وتتضمن السيرة الذاتية لسعيد النورسي، والكتاب عبارة عن مقتطفات من كلام سعيد النورسي عن حياته، وقد جمعت أقواله تلك من ثنايا مؤلفاته الآنفة الذكر.
- لقد تمت ترجمة رسائل النور إلى أكثر من خمسين لغة، ومن تلك اللغات اللغة الكردية حيث قام الباحث الكردي (فاروق رسول يحيى) بترجمتها إلى اللغة الكردية وتم طباعة خمس مجلدات منها إلى الآن والمجلدات الأخرى في طريقها إلى الطباعة.

وفاته:

عندما أحسن سعيد النورسي بذلو أجله قرر القيام بجولة واسعة في أنحاء تركيا، وكانه كان يريد بذلك أن يوسع طلابه المنتشرين في أنحاء تركيا، فبدأ جولته في ١٩٥٩/١٢/١٩ حيث سافر إلى أنقرة، ومنها توجه إلى أميرداغ ثم إلى قونيا بعد بعدها إلى آنقرة مرة أخرى، ثم ذهب إلى استانبول وبقي فيها يومين عاد بعدها إلى آنقرة مرة ثالثة، ثم توجه إلى قونيا، وفي اليوم نفسه سافر إلى إسبارطة، ثم توجه مرة أخرى إلى آنقرة، وكان الحكومة وجلت من تلك الزيارات والجولات الملفقة للنظر فأبلغته بضرورة الإقامة في أميرداغ فاستجاب سعيد النورسي لذلك الأمر إلا أنه طلب منهم السماح له بحرية الانتقال بين أميرداغ وإسبارطة.

وفي الأيام الأخيرة من حياته مرض سعيد النورسي مرضًا شديداً وكان أربعة من طلابه النجباء يلازمونه طوال تلك الفترة التي كان في إسبارطة، وعندما اشتد عليه المرض قال طلابه سوف نذهب إلى (أورفة)^(٣) أو (ديار بكر) إلا أن طلابه لم يستجيبوا لأمره لسوء حالته الصحية، ولكن وبعد إلحاح شديد من قبل سعيد النورسي اضطر طلابه الامتنال لأمره فقاموا في الصباح من يوم ١٩٦٠/٣/٢٠ بالسفر إلى (أورفة) وفي الحادية عشرة ليلةً وصلوا إلى هناك، ونزلوا في فندق (آبيك بالي)، وما أن علم أهالي (أورفة) بقدوم سعيد النورسي حتى انهمروا إلى الفندق لزيارتة، وعندما علمت الشرطة بوصول النورسي إلى (أورفة) أمروه بالعودة إلى إسبارطة إلا أن النورسي وخلافاً لعادته امتنع عن تنفيذ أوامر الدولة وقرر البقاء في (أورفة) وفي يوم الأربعاء ١٩٦٠/٣/٢٣ وقبل صلاة الفجر توفي سعيد النورسي رحمة الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني

سعيد النورسي ونظام الحكم في تركيا

لقد جعل الأستاذ النورسي قضية إصلاح نظام الحكم في تركيا واحدة من أهم أولويات مشروعه الإصلاحي منذ أن قدم إلى استانبول في المرة الثانية عام ١٩٠٧، فقد حاول مراراً أن يلتقي بالسلطان عبد الحميد الثاني لكي يشرح له الأوضاع الخطيرة التي تشهدها البلاد إلا أنه لم يتمكن من ذلك، والأستاذ النورسي رغم دفاعه عن مواقف السلطان عبد الحميد الثاني في الكثير من المناسبات إلا أنه كان ينتقده هو الآخر على بعض تصرفاته، لذلك كان يرى أن الإصلاح يجب أن يبدأ من السلطان أولًا لأنه أكثر حاجة إليه من غيره، وقد ورد عنه قوله: ((كنت سابقاً أحسب أن فساد الشرق نابع من تعرض عضو منه للمرض، ولكن لما شاهدت استانبول المريضة وجسست نبضها، وشرحتها، أدركت أن المرض هو في

(١) مدينة تقع في شمال تركيا نفي إليها سعيد النورسي سنة ١٩٣٦م وبقى هناك تحت الإقامة الجبرية ما يقارب سعة أعوام تعرّض خالها لمضايقات كثيرة، وعدة محاولات قتل بواسطة دمن السم في طعامه.

(٢) قضاء يقع في الوسط الغربي من تركيا نفي إليه سعيد النورسي سنة ١٩٤٤ وظل فيه ما يقارب أربع سنوات.

(٣) مدينة تقع في جنوب شرق تركيا سافر إليها سعيد النورسي في الأيام الأخيرة من عمره حيث توفي هناك ودفن فيها قبل أن تقوم السلطات التركية بنبش قبره وأخذ جثمانه إلى مكان معهول.

القلب وسرى منه إلى جميع الجهات، فحاولت علاجه ولكن أكرمت بالحاجة صفة الجنون بي! حيث أنَّ وشایة الحاسدين والخصماء أنت بي إلى أن أساق إلى مستشفى المجاذيب^(١) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني رحمة الله رحمة واسعة^(٢)). لذلك كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يصلح الحكم سواء في العهد العثماني أو العهد الاتحادي وما بعده لأنَّ الحكم إذا صلح صلحت الأمة أما إذا فسد الحكم فلا شأك أنَّ الفساد سوف ينتشر في الأمة بشكل أعمق وأسوأ. هذا ومن جملة اعترافات الأستاذ سعيد النورسي على السلطان عبد الحميد الثاني استبداده هذا الأخير في إدارة الحكم، وقد ردَّ الأستاذ النورسي على ذلك الاستبداد بقوله: ((إن الاستبداد المتعسف لا صلة له بالشريعة الغراء، وإن الشريعة قد أنت لها دين العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد)). وإن ثلاثين سنة التي قضيناها صائمين عن الكلام مجتملين بالصبر والتوكُل على الله سنثال ثوابها بانفتاح أبواب جنة الرقي، أبواب المدنية التي لا عذاب فيها^(٣)).

لقد قال الأستاذ النورسي هذا الكلام في بداية عهد الحرية، ويبدو أنه كان متلقاً جدًا بتحسن الأوضاع، وانتشار الحرية، إلا أنه وللأسف الشديد قد خاب ظنه حيث أنَّ العهد الذي جاء بعد عهد السلطان عبد الحميد الثاني كان أشد استبداداً منه، حيث فرضت المزيد من القيود وخاصة على المفكرين والسياسيين ورجال الإصلاح، لذلك قال الأستاذ بعدما رأى تلك الأوضاع: (لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد [قصد بذلك أيام حكم السلطان عبد الحميد الثاني] إلا أنها الآن تعادي الحياة بأكملها، فإن كانت الحكومة بهذا الشكل والمنطق فليعيش الجنون ولعيش الموت، ولتشعش جهنم مثوى للظالمين).

واضح من كلام الأستاذ النورسي أنه كان يحمل أملاً كبيراً في أنَّ الأوضاع سوف تتغير نحو الأحسن وأنَّ الاستبداد سوف يزول وتحلَّ الحرية محلَّها إلا أنه فوجئ باستبداد أشد وأقوى من استبداد السلطان عبد الحميد الثاني وذلك على يد جمعية الاتحاد والترقي^(٤)، فقال: ((حينما كانت الحرية قرينة الجنون جعل الاستبداد الضعيف مستشفى المجاذيب مدرسة لي، والذي يبدو أنَّ الغاية ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد وقويٍّ)).

ملامح الدولة في تصوير سعيد النورسي:

من خلال دراسة رسائل النور التي ألفها الأستاذ سعيد النورسي يمكننا تحديد بعض من ملامح الدولة التي كان الأستاذ ينشدتها ويعمل على تحقيقها، فمن خلال مخالطته وتعامله وصراعته مع أرباب الحكم في تركيا في كلا العهدين: عهد السلاطين، والعهد الجمهوري تبلورت لدى الأستاذ النورسي الصورة التي يجب أن تكون عليها الدولة للتخلص من أمراض الأمة التي أصبت بها جراء الحكم التعسفي من قبل الحكام الظالمين والمستبددين الذين حكموا البلاد فأساووها إلى أنفسهم وإلى شعوبهم وإلى تاريخهم أشد إساءة، وفيما يأتي بعض من تلك الملامح:

أولاً: دولة مدنية.

واحدة من أهم الملامح التي كان الأستاذ النورسي ينشدتها هي الدولة المدنية، وكان يرى أنَّ الجيش واجبه فقط هو الدفاع عن الأمة ضد عدوها الخارجي، أما اشتغاله بالسياسة ونظام الحكم فهو بمثابة كارثة حقيقة لو حدث، لذلك كان الأستاذ النورسي يحذر الجيش دوماً من مغبة التدخل في السياسة وقد خاطبهم يوماً بقوله:

((يا عساكر الموحدين: إني أبلغكم أوامر سيد العالمين صلى الله عليه وسلم:

إن طاعة أولي الأمر ضمن الدائرة المشروعة فرض، فأولياء أمركم وأساندكم ضباطكم... إن تاريخ العالم يشهد أن تدخل الجنود في السياسة قد أدى إلى أضرار جسيمة للدولة وللامة معاً، فلابد أن حميكم الإسلامية ستنصركم عن مثل هذه الأضرار التي تصيب حياة الإسلام التي تكتفل بحفظها...).

إن أعمالكم كانت علاجاً لهذه الحركات الانقلابية فإذا ما زادت انقلبت سماً قاتلاً، وأدت بالحياة الإسلامية إلى أمراض جسام، ثم إن ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا تحت الاستبداد المعنوي لأوروبا في مضمار الرقي، فلابد من الالتزام بأقصى درجات الحرر والسكنينة والهدوء فلتتحيا الشريعة الغراء، فليعيش الجنود)).

من المشاكل الرئيسية التي تعاني منها تركيا في الوقت الحاضر تدخل الجيش في السياسة وأمور الحكم في الدولة، وإذا كانت الكثير من الدول تعاني من استغلال حزب ما أو أسرة معينة للجيش واستخدامه كورقة رابحة متى شاءت فإنَّ الوضع في تركيا مختلف؛ حيث أنَّ الجيش هو الذي كان يتحكم وسيطر على الحكومة والأحزاب ، وكافة مؤسسات الدولة، في العديد من الفترات ومتي ما وصل إلى الحكم حزب لا يعجب الجنرالات قام الجيش بالانقلاب عليه كما حدث في سنة ١٩٦٠م، و ١٩٧١م، و ١٩٨٠م، إلا أنَّ دور الجيش قد ضعف في الأونة الأخيرة ولم يبق له تلك الهيمنة التي كانت تمارسه

(١) مستشفى المجاذيب أي المجانين.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٦٩.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٧٥.

(٤) يذكر الأستاذ مصطفى صنغر: أنَّ الاستبداد عندما عانى ما عانى من عهد الحزب الواحد (عهد مصطفى كمال وعصمت إينونو) كان يخاطب نفسه قائلاً: أيا سعيد تجرَّع أذى هذا الاستبداد الريء عقاباً لما اعترضت على سلطان رؤوف شقيق أنه مستبد. نقاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب سيرة ذاتية ص ٧٦، الهاشم ١١٥.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥.

(٦) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤١.

في السابق.

إذا ما رجعنا إلى الخلفية التاريخية لهذه المشكلة في تركيا فسنرى أن تدخل الجيش في السياسة ليس ولد اليوم، بل يعود ذلك إلى بدايات نشوء الدولة العثمانية، فالدولة العثمانية أستَّت على يد العسكر، وكان العسكر هم حماتها على مَرِّ الزمان، وقد اعتمدَت الدولة العثمانية على سوا عدهم في توسيع نفوذهما وضمُّ أقاليم أخرى إلى سلطنتها، وما الجيش الإنكشاري^(١) الذي ابتلي العثمانيون به في فترة ما إلا واحدة من معطيات تدخل الجيش في السياسة التركية، هذا وقد عانَت تركيا ولا زالت تعاني من هذه المعضلة وعواقبها الوخيمة على المجتمع التركي من كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها من النواحي، لذلك حذر الأستاذ النورسي من مغبة تدخل الجيش في السياسة وأن واجبه يكمن في حماية الدولة من الأخطار الخارجية فحسب.

ثانياً: دولة يحكمها النظام الجمهوري.

لقد تحدث الأستاذ سعيد النورسي كثيراً عن نظام الحكم وأشكاله وخصائصه، وكان كثيراً ما يقارن بين الأنظمة الدستورية الشورية وبين الأنظمة الاستبدادية الدكتاتورية، وتراءَ كثيراً ما يستخدم مصطلح النظام الجمهوري^(٢) ويرى ضرورة تأييده والوقوف بجانبه في وجه الأنظمة الاستبدادية، ويصف الأستاذ النورسي النظام الجمهوري الذي يؤيده بأنه ذلك النظام الذي يكون ((عبارة عن العدالة والشوري وحصر القوة في القانون... إن القوة لابد أن تكون في القانون وإلا فسيتفشى الاستبداد)).^(٣)

وعندما سئل في محكمة "أسكي شهر" عن موقفه تجاه النظام الجمهوري أجاب:

((تستطيعون أن تتأكدوا من كتاب "السيرة الذاتية" الموجود لديكم بأنني كنت شخصاً متدينًا ومن أنصار النظام الجمهوري وذلك قبل أن تأتوا أنتم إلى الدنيا، هذا باستثناء رئيس المحكمة المتقدم في العمر، وخلافة ذلك أنتي كنت آنذاك منزويًا كحالى الآن تحت قبة مقبرة (ضريح) خالية، فكانوا يأتون لي بالحساء وكانت أقوم باعطاء حبات الحساء إلى النمل وأكتفى بغمس الخبز في سائل الحساء، سألوني عن السبب فقلت: إن أمة النمل وكذلك النحل تعيش في نظام جمهوري، وأنا أعطي الحبات للنمل لنظامها الجمهوري.
ثم قالوا: أنت تختلف بذلك السلف الصالح فأجبتهم:))

لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه؛ فالصديق الأكبر (رضي الله عنه) كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرة وللحشابة الكرام، ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ، بل كان كل منهم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقة والحرية الشرعية)).^(٤)

ولعل من أسباب تأييد الأستاذ النورسي لقيام نظام جمهوري ما عاناه من الأنظمة الاستبدادية سواء في عهد العثمانيين أو في عهد حكم الاتحاد والترقي والعلمانيين عموماً، فقد مرَّ علينا أثناء الحديث عن موقف الأستاذ النورسي من الاستبداد كيف كان ينتقد استبداد السلطان عبد الحميد الثاني، كما استمرَّ في نقد الاستبداد في عهد الذين تولوا على حكم تركيا في عهد الكماليين ومن بعدهم، لذلك أيد الأستاذ النورسي قيام حكم جمهوري عليه يساعد بعض الشيء في الحد من ممارسة الاستبداد في الحكم الذي كان يتصرف به الحكام آنذاك.

إذاً فالنظام الجمهوري الذي كان الأستاذ النورسي يؤيده هو ذلك النظام القائم على العدالة والشوري وتطبيق القانون، وإنما الفائدَة من إطلاق تسمية النظام الجمهوري على أنظمة حكم يتظاهر حكامها بالديمقراطية وتطبيق القانون بينما دكتورياتهم واستبدادهم في الواقع الأمر يفوق استبداد أي ملك جاء إلى الحكم بطريقه وراثية ((وكثيراً ما نجد أن بعض الدساتير قد أقرَّت لرئيس الجمهورية من الصالحيات أكثر مما أقرَّت دساتير الدول الملكية للملوك))^(٥)، لذلك فإن وصف الحكم والنظام في أي بلد بأنه جمهوري لا يكون مقبولاً إذا لم يثبت النظام الحاكم ذلك ويفعله في أرض الواقع.

(١) الإنكشارية هو ذلك الجيش الذي شكله السلطان أورخان، وكان مؤلفاً من أبناء نصارى البلدان الأوروبية المقتوحة حيث كان يؤتى بهم ويلقتوه مبادى الإسلام، وحب السلطان، ومن ثم يدركون على حمل السلاح وفنون الحرب لاستخدامهم في أوقات الشدة، لقد كانت المهمة الأولى والأساسية للجيش الإنكشاري هي حماية الدولة العثمانية، والقتال ضد أعدائهم، وقد ألبى ذلك الجيش بلاءً حسناً في الحروب التي خاضها، وإليهم يعود الفضل في انتصار العثمانيين أثناء فتح القدسية، إلا أنَّ أفراد ذلك الجيش قد تغروا بمرور الزمن، وأصبحوا مصدر فراق للدولة العثمانية، فبعد اختلاطهم بسكان المدن، واطلاعهم على نمط العيش فيها فسدت طبائعهم، وانفسدوا في المذانق والمحرمات، واستصغوا للذهاب إلى القتال، وفضلو العيش في المدن، وبدأوا بالاعتداء على الناس الأبرياء، وطالبوه بال المزيد من الاعطيات من السلطان، وحتى مشاركتهم في الحروب كان بهدف السلب والنهب، واستمرَّ الحال على هذا المنوال إلى أن اشتُدَّ قوتهم يوماً بعد يوم حتى أصبح الكثير من المسلمين العوبة بأيديهم، يعزّلونهم متى شاءوا، أو يقتلونهم إذا أصرُّوا على مخالفتهم أو وضع حد لطغيانهم، وهكذا استمرُّوا في غيهم إلى أن تسلَّم السلطان محمود الثاني الحكم سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م حيث بدأ يخطط للتخلص من الإنكشارية، وفي سنة ١٤٤٢هـ - ١٨٢٦م قام بتشكيل جيش جديد وقام بواسطته، وبمعاونة عادة أفراد الشعب بالقضاء عليهم، وقد استخدم المدفعية التي أمرت الإنكشارية بالذبح، وقتل منهم ما يقارب الثمانية ألف حتى قبل إن مياه مضيق البسفور قد تعلَّقَ من كثرة الجثث التي أقيمت فيها، وبذلك تمكَّن السلطان محمود الثاني من إنهاء فساد الإنكشارية.

(٢) النظام الجمهوري هو ذلك الحكم الذي يتم فيه اختيار رئيس الدولة عن طريق الانتخابات ولمدة معينة، ويسمح هذا النظام لمن تتوفَّ فيه الشروط والصفات المطلوبة أن يصل إلى منصب الرئيس الأعلى للدولة إذا فاز في الانتخابات، بعكس النظام الملكي الذي يسير وفق فكرة الوراثة في الحكم حيث يرث الآباء الحكم عن والده وآخرين عن أخيه وهكذا.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٢٧.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٤٢٥.

(٥) الدكتور محمد فاروق النبهان، نظام الحكم في الإسلام، الكويت، من مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٧م، ص ٦٩.

ثالثاً: دولة مبنية على أساس العدالة والمساواة.

هناك جملة من القيم الحضارية التي اتفقت جميع الأديان والشرعاء والإيديولوجيات عليها كوجوب الصدق، واحترام الآخرين، وحفظ الأمانة والتعاون، والمحافظة على العهود والمواثيق، والوفاء بالعهد، وما إلى ذلك من القيم الحضارية النبيلة، هذا وتعد العدالة واحدة من أهم القيم التي اتفقت جميع الأديان والفلسفات عليها، وعلى وجوب تحقيقها ونشرها لأنها لا يمكن أن يعيش الإنسان في مجتمع ما حياة كريمة سعيدة هانة بدون تحقيق العدالة بكل أنواعها وفي شتى مجالات الحياة، بدءاً بالعدالة داخل الأسرة الواحدة، ومروراً بالعدالة في المؤسسة التي يعمل الفرد فيها، وانتهاء إلى العدالة الشاملة في شتى مؤسسات الدولة.

إن نظرة بسيطة إلى حال البشرية اليوم وواقعها يظهر للعيان مدى البوس الذي تعاني منه شعوب الأرض قاطبة - مع تفاوت فيما بينها - فالبشرية تعاني من وطأة هذا الاستعباد والظلم والقهر الذي يفرضه الإنسان على أخيه الإنسان. يقول الأستاذ النوري: ((إن أحدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها، وأجدر صفة بالخصوصية هي الخصومة نفسها، أي إن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة، وإن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هو أصبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنب وتتفرّ منها...لقد انتهى عهد العداوة والخصام ولقد أظهرت العربان العالميان مدى ما في روح العداوة من ظلم فضيع ودمار مريع)).^(١)

لقد كان الأستاذ النوري ينادي دوماً بضرورة ترسیخ مفهوم العدل داخل المجتمع الإنساني، والبعد عن الظلم والأنانية، استمع إليه حيث يقول في إحدى رسائله: ((إن أسس جمیع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً: الكلمة الأولى: "إن شُبِّعت فلا على أن يموت غيري من الجوع"، الكلمة الثانية: "اكتسب أنت لا كل أنا، واتعب أنت لأستریح أنا.

إن العدل والظلم نقىضان، وهو لا يجتمعان فإذا غابت العدالة حل الظلم، وبحلول الظلم وانتشاره تنثار العلاقات الإنسانية، ولقد أدرك الأستاذ سعيد النوري هذه الحقيقة لذلك كان يعمل طوال حياته المباركة على محاربة الظلم والظالمين، لقد كان يعمل على إزالة الظلم لتحقّ محله العدالة، استمع إليه حيث يقول: ((فما دام الانسجام مع قانون الفطرة ضروريًا فإن تنفيذ قانون المساواة المطلقة لا يمكن إلا بتحقيق فطرة البشر))^(٢)، ورفع الحكمة الأساسية في خلق النوع البشري، نعم إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام، ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكراً ومشرياً، ومن العاملين على رفض سيطرة الخواص المسميين بالبرجوازيين واستبدادهم منذ السابق، وذلك بمقتضى الرحمة، وبموجب العدالة الناشئة من الإسلام، لذا فانا بكل ما أوتيت من قوة بجانب العدالة التامة، ضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد)).^(٣)

لقد نبه الأستاذ سعيد النوري في كلامه السابق إلى جملة من الأمور المهمة منها: أن العدل والمساواة لا يتحققان إلا بعد أن تتحقيق فطرة البشر، فالعدالة بحاجة إلى من يؤمن بها وبأهميةها، وبالتالي تطبيقها وحمايتها، وهذا يتطلب إصلاح الإنسان أولاً، وإقناعه بضرورة تطبيق العدالة في أمور الحياة كلها، وبين ثمارها الطيبة للإنسانية جماعة، ومن الأمور المهمة الأخرى التي أشار إليها الأستاذ سعيد النوري أن الظلم والاستبداد قرينان لا ينفكان عن بعضهما البعض، فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر، وكل واحد منها شرًّا من الآخر، ولم تتعان الشعوب المستضعفة من شيء مما عانت من هذين الداعين القاتلين، لذا نرى الأستاذ سعيد النوري قد سخر حياته كلها لمحاربة ومقارعة الظلم والظالمين، والاستبداد والمستبددين، لقد كان الأستاذ النوري يعرف مرارة الظلم والاستبداد لأنه قد ذاق منها إلى حد التخمة لذلك كان أشد تحمساً من غيره في محاربتهم، وصدق من قال إن من يده في النار غير الذي يده في الماء !!

لقد أتى الأستاذ سعيد النوري بمفاهيم رائعة للعدالة فقد قال في تفسيره للآلية القرآنية: {من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً} ^(٤) أن هذه الآية ((تضعن أعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرر لا تهدر دم بريء ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جماعة، فكما أن كليهما في نظر القدرة الإلهية سواء فهما في نظر العدالة سواء أيضاً، وكما أن نسبة الجزئيات إلى الكلي واحدة كذلك الحق في ميزان العدالة واحدة، النسبة نفسها ولهذا ليس للحق صغير وكبير)).^(٥)

يرى الأستاذ سعيد النوري أن الظلم لاسيما سفك دم إنسان بريء أمر عظيم جداً إلى درجة لا يجوز سفك دم بريء ولو كان في ذلك حياة البشرية جماعة، فهناك أمور يستوي فيها الصغار والكبار، الفقراء والأغنياء، العلماء والعوام، مثل الحاجة إلى الغذاء والشراب والدواء وما إلى ذلك من الحاجات الضرورية، فالجوع هو الجوع، ولا يوجد جوع للأغنياء وجوع آخر للفقراء، وكذلك الحال بالنسبة للمرض والعطش وهلم جراً، لذلك يقول الأستاذ النوري في نهاية كلامه: ((ولهذا فليس للحق صغير وكبير)).

(١) بديع الزمان سعيد النوري، صيق الإسلام، ص ٥٠٩.

(٢) لعله يقصد بذلك أن فطرة البشر لا تتقبل المساواة المطلقة بل لا بد من تفضل بعضهم على بعض في أمور معينة والله أعلم.

(٣) بديع الزمان سعيد النوري، المعمات، ص ٢٥٧.

(٤) الماندة، ٣٢.

(٥) بديع الزمان سعيد النوري، صيق الإسلام، ص ٣٣٧.

رابعاً: دولة دستورية خاضعة لمبدأ الشورى.

لقد كان الأستاذ سعيد النورسي يعمل جاهداً على العمل بالدستور (المشروطية) الذي صدر سنة ١٨٧٦م وتفعيله مرة أخرى بعد أن تم تعطيله من قبل السلطان عبد الحميد الثاني وذلك حينما طالب بعض أعضاء البرلمان بتحديد صلاحيات السلطان، لقد كان النورسي يبين دوماً مزايا وأهمية الخضوع للدستور في إدارة الدولة، وكان يؤيد تطبيق الدستور (المشروطية) لأنها تقف ضد الاستبداد، وعندما سُئل عن معنى كل من الاستبداد والشروطية^(١) أجاب:

(الاستبداد هو التحكم أي المعاملة الكيفية، أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد... وما هو إلا أساس الظلم ماح الإنسانية [كذا]^(٢)، وهو الذي دحر الإنسان المكرّم إلى أسفل سافلين في السفال، وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلة...[و] الشروطية مجلّى وتفسير لآيتى: {وَشَاوِرُوهُمْ فِي الْأَمْرِ}٣، و{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْتَهُمْ}٤، فهي المشورة الشرعية فقوّة ذلك الوجود المنور هي الحق... وحياته هي العدالة... إن روح الشروطية أن تكون القوّة في القانون، والنهي في يد الحق، والمرء خادماً... لأن الشروطية إن صارت صادقة كانت الحاكمة للملة والحكومة لا تبقى رئيسة بل خادمة)^(٥)

يقول الأستاذ شكري أصلان الكردستاني في مقدمته لكتاب ديوان الحرب العربي الذي ألفه الأستاذ النورسي: ((أشاء زيارة الإمام النورسي إلى استانبول سنة ١٩٠٧م كانت الدولة العثمانية الإسلامية قد شارف [كذا]^(٦) على الموت، فحاول مع فئة من المفكرين والعلماء أن يداوي جراح هذا المريض فقام بنشاطات سريعة وهادفة مرة ومؤلمة أحياناً لأنّه كان يظنّ أهل الإدارة مخلصين فلم يخف من الإشارة إلى مكامن الفساد في الدولة ومحاولة الإصلاح، كما أنّ المعالجة كان أمراً لابد منه وذلك كثيّر الأعضاء لصالح الجسد:

أولاً: نصح السلطان عبد الحميد أن يقوم بأعمال إصلاحية في المدارس مثل تدريس العلوم الحديثة بجانب العلوم الإسلامية.

ثانياً: دعا السلطان إلى أن يعلن عن الشروطية^(٧) لبقاء الدولة الإسلامية واستمرارها في رسالتها إذ كان يقول إن هذا النوع من الإدارة محال فإما هذا النوع الجديد _الشروطية_ من الإدارة وإما الأضحمال)^(٨). إن خضوع الحاكم _بعض النظر عن شكل النظام_ للدستور فيه ضمانة لتطبيق الديمقراطية وتدالو السلطة، والحكم الرشيد إلى حد كبير، فالدستور يعمل على الحد من تجمع السلطات والصلاحيات المطلقة في يد شخص واحد، والأمة والدولة تكونان في خير ما كانت هناك شوري ودستور في الحكم، أما إذا فقد ذلك فإن الخراب والدمار سوف يعمان البلاد، والشاهد والواقع التاريخي خير مثال على ذلك، يقول الأستاذ النورسي ((إن هذا الانقلاب^(٩) لو أعطى الحرية التي أولدها إلى أحضان الشورى الشرعية لتربيتها فستبعث أمجاد الماضي لهذه الأمة قوية حاكمة، بينما لو صادفت تلك الحرية الأغراض الشخصية فستتقلب إلى استبداد مطلق فتموت تلك المولودة في مهدها... إن المسألة التي سمعتموها وهي الشروطية والقانون الأساس ما هي إلا العدالة الحقة، والشورى الشرعية، تلقوها بقبول حسن، اسعوا لحفظها عليها لأن سعادتنا الدنيوية في الشروطية، فقد قاسينا الأمرين أكثر من الآخرين))^(١٠).

لقد عانى الأستاذ سعيد النورسي رحمة الله تعالى معاناة كبيرة من الاستبداد في كلا المهددين العثماني والاتحادي _أي الاتحاد والترقى_ لذلك فقد أمضى شطراً كبيراً من حياته، وصرف جهوداً كبيرة في محاربة الظلم والاستبداد، كما سعى حثيثاً في سبيل تطبيق الشروطية _أي الحكم الدستوري_ لأنّه كان يدرك أنّ ذلك سوف يحدّ إلى درجة كبيرة من ظلم الطالمين، واستبداد المستبددين.

إن الاستبداد في الحكم هو أشد أنواع الاستبداد خطراً على المجتمعات، حيث يتحكم فرد واحد أو مجموعة من الأفراد في مقدرات شعب بأكمله، ويسمونهم بأهوائهم ونواز عهم الشخصية دون أن يعيروا أي اهتمام لرغباتهم وميولهم، فالقانون هو ما يرتصونه لهم، والحسن هو ما كان موافقاً لهواهم، والقبح هو ما لا يعجبهم، والاستبداد في الحكم هو الذي عانى منه

(١) لقد سُئل الأستاذ النورسي هذا السؤال أثناء تجواله بين العشائر الكردية في كردستان تركياً، وقد جمع الأستاذ النورسي تلك الأسئلة وطبعها ضمن رسالة سماها (رجمة العام).

(٢) ولعل الصواب ماحي الإنسانية.

(٣) آل عمران، ١٥٩.

(٤) الشورى، ٣٨.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، رجمة العلماء، ص ١٢٤.

(٦) ولعل الصواب قد شارفت.

(٧) يقصد بالشروطية إعلان الدستور العثماني الذي صدر في عام ١٨٧٦م وذلك عندما تسلّم السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية، وتسمى تلك الشروطية بالشروطية الأولى أي إعلان الدستور لأول مرة، هذا وقد أوقف السلطان عبد الحميد الثاني العمل بالشروطية الأولى منذ إعلانه بسبب بعض الاضطرابات التي وقعت آنذاك، واستمر الحال على ذلك إلى سنة ١٩٠٨م حيث أعيد العمل بالشروطية (الدستور) مرة أخرى، وسميت بالشروطية الثانية.

(٨) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العربي، ترجمها وعلّق عليها الأستاذ شكري أصلان الكردستاني، ص ٥.

(٩) يقصد به قادة انقلاب جمعية الاتحاد والترقى الذين قاموا بالانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨م، وقد كان الأستاذ النورسي يحاول أن يقدم لهم النصح والإرشاد ويحثّهم على الاستفادة من أخطاء السلاطين وعدم تكرارها إلا أنّهم خيّروا أمال النورسي حيث فاق استبدادهم استبداد السلاطين وبذلك زادوا الطين بلة.

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٨١.

الناس سيما أرباب الإصلاح قديماً وحديثاً، لذلك نراهم قد ركزوا في كتاباتهم وخطبهم على هذا النوع من الاستبداد وبينوا أضراره ومخاطره على الشعوب المستضعفة، يقول الكواكبى: ((إن صفة الاستبداد كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيد الوارث أو المنتخب متى كان غير محاسب، وكذلك تشمل حكومة الجمع ولو منتخباً لأنَّ الاشتراك في الرأي لا يدفع الاستبداد وإنما قد يعدله نوعاً وقد يكون أحكم وأضرَّ من استبداد الفرد... وخلاصة ما تقدم أنَّ الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها كما جرى في صدر الإسلام...))

المستبد إنسان وأكثر ما يألف الغنم والكلاب، فالمستبد يود أن تكون رعيته كالغنم ذرَّاً وطاعة، وكالكلاب تذللاً وتملقاً، وعلى الرعية أن تكون كالخيل إن خدمت وإن ضربت شرست، بل عليها أن تعرف مقامها هل خلقت خادمة للمستبد أم هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها...))^(١)، ويقول الأستاذ التورسي: ((إن لكل زمان حكماً، وكل وقت حكماً يحرك ماكينة الهيئة الاجتماعية... فاعلموا أنَّ الحاكم المعنوي في الاستبداد كان هو القوة ليس إلا... فمن كان سيفه قاطعاً، وقلبه قاسياً ترقى... إن كان كباركم استند إلى القوة المادية، واستبعدوا واستخدموا الخلق، وربط الناس بتضييق الخوف والجبر، واستنزل الناس من الإنسانية إلى الحيوانية، فإن ظهر خيراً [كذا]^(٢) اغتصبه وأراه من نفسه، وإن وقع شرّ علقه بعنق الملة... فرئيسمهم ورؤسهم بدلاً عن أن يدخل تحت أكتافهم لينهضهم يركب على أغوارهم حتى يترأس وحده، ويأكل من لحمهم حتى يتورّم ويصير حجاً لا يريهم الضياء لاستعداداتهم التي كالازهار في الأكام، بل هو وحده ينمو وينبسط وينكشف ويتلاؤ، فإن أردتم أن تنتظروا إلى الاستبداد المجسم فعليكم بهذا الرجل))^(٣).

(١) عبد الرحمن الكواكبى، طبائع الاستبداد، ص.٨.

(٢) ولعلَ الصواب خيراً.

(٣) بديع الزمان سعيد التورسي، رجنة العوام، ص.١٣٦.